إيبارشية جنوبي أمريكا للأقباط الأرثوذكس

الرسالة الشهرية للرهبان والراهبات **سبتمبر ٢٠٢٢م**

معنى الصليب في الحياة الرهبانية

الصليب هو باب الأسرار. من خلال هذا الباب يدخل العقل إلى معرفة الأسرار السماوية. إن معرفة الصليب مخبأة في آلام الصليب. وكلما زادت مشاركتنا في معاناته، كلما زاد الإدراك الذي نكتسبه من خلال الصليب. لأنه كما يقول الرسول: "كما تكثر آلام المسيح فينا، كذلك بالمسيح تكثر تعزيتنا أيضاً".[٣]

قال الرب لتلاميذه: "إن أراد أحد أن يأتي ورائي، فلينكر نفسه، ويحمل صليبه، ويتبعني". تذكر أيضاً أن لكل واحد منا صليبه الخاص، الذي يجب أن يحمله استجابة لدعوة الله لإتباعه والذي يجب أن يصلب عليه مثل المسيح نفسه، وفقاً لمثال الرسول. إن الجلجثة في هذا الصليب هي قلبنا: فهي تُرفع أو تزرع من خلال تصميم متحمس على العيش وفقاً لروح الله. وهي تتألف في المقام الأول من استعدادات قلوبنا المختلفة وتتدفق في الحياة المسيحية.

الراهب الحقيقي لا يهرب أبداً من صليبه، لكنه يحتضنه ويصعد على الصليب عن طيب خاطر ويومياً. إن معنى صليبنا الداخلي وعلاقته بحياتنا الرهبانية هو ذاك الجزء السفلي من الصليب، الذي يدخل إلى الأرض. الصليب الداخلي يمثل إنكار الذات، الذي يكسر أرضية القلب ويزرع الصليب. يأخذ نشاط إنكار الذات في الحياة الرهبانية جانباً جديداً من موت الذات عن العالم بأسره. يكون الراهب إذن مثل شخص ميت، مدفون في الأرض. جدران الدير هي قبره. ملابسه هي كفنه. يترك كل شيء خارج أسوار الدير وليس له علاقة بشيء موجود. إنه غريب عن كل شيء وكل شيء غريب عنه، حتى أن كلمات الرسول: "العالم قد صلب لي، وأنا للعالم" تتحقق فيه. من اكتسب مثل هذه الشخصية قد وضع أساساً متيناً لصليبه الداخلي وحياته الرهبانية.

الجزء العلوي من الصليب الداخلي - الجزء الذي يشير لأعلى، يمثل الصبر، أي العزم للثبات على نيتنا بحيث لا يمكن لأي عقبات أو استياء أو أعمال ما أن تجعلنا نتردد. بدون صبر، لا يمكن لأحد أن يستمر في الصلاح، ناهيك عن الراهب وحياته الرهبانية. إنه العزم على البقاء في رتبتنا وفي مكاننا. تعني كل خطوة ممارسة الصبر للقيام بذلك. لذلك، لا يمكن للمرء أن يخطو خطوة بدون صبر.

يمثل القسم الأفقي من الصليب الداخلي الطاعة: إنه مثل هذا الاستعداد الذي لا يقوم فيه الشخص أبداً بأي شيء أو يخطط له بمفرده ولكنه ببساطة يستمع وينفذ أوامر الآخرين دون مقاومة.

---

[٣] القديس إسحاق السرياني، العظات النسكية (دير التجلي المقدس)، عظة ٧٤، ص ٥١٣

إن الشخص المطيع الذي لا يعتمد على أفكاره أو رغباته الخاصة يتبع نصيحة أو أمر شخص آخر. دعونا أولاً نتخلى عن عقلنا من أجل اتباع المسيح. لقد أثبت الآباء أن المزمور سلاح، وأن الصلاة هي جدار، وأن الدموع الصادقة هي تطهير. لكن الطاعة المقدسة هي في حكمهم إعلان إيمان، لن يسمح غيابها لأي شخص واقع تحت سلطان أهوائه برؤية الرب.

قد يسأل أحدهم ، "ولكن أي نوع من الحياة هو هذا؟" الانفصال عن كل شيء، وإنكار إرادة المرء في الطاعة، وقمع كل المشاعر تقريباً من أجل الإحتمال، هل هذه هي الحياة؟! ولكن لا تتوقف فقط عند الأمور الخارجية. كل من الفضائل الرهبانية المذكورة أعلاه لها، بالإضافة إلى جانبها الخارجي الصارم، جانب داخلي حي ومبهج، والذي إما يهيئ المرء له أو يتولد منه.

وهكذا ، فإن الصبر يكون مدعوماً من قِبَل الرجاء في أن العمل الرهباني ليس عبثاً ويعيش فيه. إذ يتذوق المرء البركات المتوقعة، فإن الرجاء يغذي الصبر ويجعله لا ينضب. يملأ الرجاء القلب بفرح امتلاك ما ينتظره، وهذا الفرح يخفف من الجهد المؤلم للصبر الناجم عن العمل. لذلك، يفرح الشخص الصابر، ولا يشعر بالمعاناة بقدر ما يشعر بالبهجة، على الرغم من أن الآخرين يرونه يعاني بشكل كبير.

الطاعة يحركها الحب. الطاعة هي التخلي عن أنشطة المرء الخاصة والتفكير في أثمن أفعالنا. يجب أن يكون لدى المرء قوة كبيرة لاكتساب السيطرة على نفسه وحرمان نفسه من هذه الأشياء. وبقوة الإرادة يمكن للمرء بالطبع أن يتغلب على نفسه، وينجح التصميم الراسخ في ذلك. ومع ذلك، طالما أن هذا التصميم يعمل بمفرده، فإن أعمال الطاعة تشبه تكسير الفروع الجافة. الحب وحده هو الذي يمكنه أن يضيف بقوة مرونة صحية إلى الطاعة. الحب مستعد للتضحية بكل شيء، ولا يدخر جهداً، ولا يأخذ في الاعتبار فقدان الوقت أو الجهد أو الوسائل. عندما يكون هناك حب، يتم كل شيء بسهولة وبسرعة وعن طيب خاطر. فقط الطاعة التي تأتي من الحب يمكن أن تجعل كل الأعمال التي أسندت إليها مبهجة.

وأخيراً، فإن موت الذات عن العالم ينبض بالحياة ويحدث من خلال الإيمان بأنه يجب أن يكون هذا فقط ولا يمكن أن يكون خلاف ذلك، إذا كان الشخص الذي يرغب في هذه الحياة يريد أن يعيشها بالطريقة التي يجب أن يعيشها. يخبرنا الإيمان المقدس أننا خلقنا للحياة في الله، لكننا سقطنا بعيداً عنه في روابط الأنانية والشهوات الدنيوية، ولهذا السبب، يجب على الشخص الذي يرغب في النهوض مرة أخرى إلى الحياة في الله أن يموت عن نفسه وعن العالم. هذا الاقتناع بحتمية مثل هذا المسار، طالما أن لدى المرء رغبة حية في الخير لنفسه، يغذي الموت عن كل شيء ويمنح حياة واحدة، خاصة فيما يتعلق بالاقتناع بأنه فقط من خلال هذه الشخصية يمكن للمرء أن يقترب من المسيح، يحصل منه على ملء الحياة.

وبهذه الطريقة، يشكل الإيمان بإنكار الذات، أو الموت عن كل شيء، قاعدة الصليب الداخلي. الجزء الرأسي هو الصبر المعزز بالرجاء، في حين أن العارضة هي الطاعة المستوحاة من الحب.

إذا تخيلنا الصليب كشجرة، فإن جذرها هو الإيمان، الذي ينمو منه أولاً وقبل كل شيء إنكار الذات والتصميم على التخلي عن كل شيء والتركيز على المهمة الوحيدة المتمثلة في خلاص النفس، والانسحاب من كل شيء آخر. من إنكار الذات يولد الحب، والاستعداد لكل طاعة. من الطاعة - أو في وقت واحد معها - ينمو الصبر، متوجاً بالرجاء الذي يرفع المرء إلى السماء وإلى الحجال الداخلي

وراء الحجاب، كما يقول الرسول. حيث توجد كل هذه الاستعدادات، لا تقف شجرة الصليب وحدها وعارية، بل تتفرع إلى العديد من البراعم ذات الفضائل المختلفة، وتغطي نفسها بأوراق السلوك الصالح الخارجي وتكثر ثمار الأعمال الصالحة. هناك نجد نسيان للعالم وعاداته. هناك يوجد التزام مستمر في الدير دون مغادرة؛ هناك يوجد حب العزلة. هناك يوجد عمل صلاة في القلاية وفي الكنيسة. هناك يوجد صيام. هناك توجد مثابرة على العمل اليدوي. هناك يوجد استعداد لمساعدة بعضنا البعض؛ هناك يوجد غفران متبادل. هناك يوجد تشجيع متبادل للخير. هناك سلام. هناك تقييد للعيون واللسان والأذنين. وهكذا دواليك. طوبى للنفس التي، عندما تنسحب إلى نفسها، تجد كل هذا في قلبها!

هذه هي العلامة الواضحة على أن شجرة الصليب قد تأسست فينا، راسخة ووفيرة بالقوة الداخلية الحية، بحيث يمكن أن تسمى بالفعل شجرة مانحة للحياة، ليس فقط بشكل عام، ولكن خصيصاً لهذا القلب. إذا كانت كل الفضائل التي ذكرناها موجودة حقاً في قلوبنا، فإن صليبنا يقف منتصباً. إذا لم يكن الأمر كذلك، فاعلم أنه قد تم دفنه تحت مشاعر وتصرفات سيئة مقاومة. لن أحدد هذه الأخيرة، لأنه تكون ظاهرة. ولكن لا يسعني إلا أن أضيف الرغبة أو بالأحرى أطلب منك إذا وجدت أن صليبك قد انحنى أن سقط تماماً أو حتى ما هو أسوأ من ذلك حيث تغطى بتراب وقاذورات الأفكار والشهوات الرديئة أن تحاول أن تكشفه وتنظفه بالتوبة وترفعه وتلصقه مرة أخرى في قلبك، مع التصميم الراسخ على أن تكون غيوراً حتى الموت على خلاص نفسك. صدقوني، بدون هذا الصليب، لا توجد حياة روحية، ولا أي عزاء. بدون الصليب، لم يخلص أحد أو يمكن أن يخلص. وكما دخل الرب إلى المجد بعد أن تألم على الصليب، هكذا سيدخل جميع الذين يتبعونه إلى المجد معه من خلال صليبهم الشخصي. هل ترغب في المشاركة في هذا المجد؟ فلتصعد إذاً على الصليب أولاً وقبل كل شيء، ومن الصليب سوف تدخل السماء. آمين[٤].

٤ القديس ثيئوفان الناسك